رواية قصيرة جدًا

يُورِيدِيس في لَيْلَةِ الرَّازِمِ

حميد عقبي

شبكة أطياف الثقافية للدراسات والترجمة والنشر

المغرب

الكتاب:يُوريدِيس في لَيْلَةِ الرَّازِمِ

المؤلف:حميد عقبي

الإيداع القانوني:2024MO6035

ردمك::ISBN 978-9920-8923-5-3

الطبعة الأولى:2024

لوحة الغلاف: حميد عقبي

جميع الحقوق محفوظة

شبكة أطياف الثقافية
للدراسات و الترجمة والنشر
Atyaf Cultural Network
For Studies,Translation and Publishing
ACNSTP

الرباط- المغرب

https://acnspt. com

info@acnstp. com

الإهداء

إلى كل يوريديس، تسعى إلى النوررغم قسوة وقبح العتمة

كلمة شكر وتقدير

إلى الشاعر والناشر اليمني:

د. أحمد الفلاحي ومؤسسته الإبداعية

شبكة أطياف الثقافية للدراسات والترجمة

والنشر

مقدمة

تعتبر رواية "يوريديس في ليلة الرازم" للكاتب حميد عقبي بمثابة جولة أدبية رائعة، وتأمل مؤثر في تعقيدات النزوح والذاكرة والهوية. تتعمق هذه الرواية القصيرة في النفس المتعددة الطبقات للوجود في الشتات، وتنسج بين الصراعات الشخصية والجماعية لصياغة سرد مقنع وعالمي. يربط عقبي، وهو صوت أكاديمي وأدبي يمني في فرنسا، بين الثقافات والتاريخ، ويقدم للقراء عملاً يتجاوز الحدود الجغرافية والزمانية.

في جوهرها، تستقي رواية "يوريديس في ليلة الرازم" من الأسطورة الخالدة لأورفيوس ويوريديس، وتعيد تشكيلها ضمن محيط الذاكرة الثقافية اليمنية والشوق في الشتات. تبعث هذه التخيلات الجديدة حياة جديدة في حكاية

كلاسيكية، فتضع بين شوق أورفيوس الأبدي إلى يوريديس وشوق النازحين إلى وطنهم وهويتهم. ويحول حميد عقبي الأسطورة إلى مجاز حديث، حيث يصبح المنفى هو العالم السفلي، والذاكرة هي يوريديس المراوغة، والفن هو القيثارة الأورفية التي تحاول الإبحار عبر ظلال الاغتراب.

تلتقط رواية عقبي القصيرة الطبيعة المتناقضة للمنفى - وهي مساحة يلوح فيها الماضي في الأفق ولكنه يبدو بعيدًا بشكل متزايد. تعكس رحلة البطل الوعي المجزأ لفرد من الشتات، عالقًا بين حنين جذوره والمسيرة التي لا هوادة فيها لسياق تبنيه. من خلال السرد الغني، يستكشف عقبي أسئلة الانتماء: ماذا يعني أن تكون في وطنك في عالم يبدو غريبًا؟ هل يمكن للذات الشتاتية التوفيق بين تعددها، أم أنها ممزقة إلى الأبد بين العوالم؟

تتكشف القصة على شكل طبقات، تعكس الطبيعة المجزأة للذاكرة نفسها. فكما يتصارع البطل مع شظايا الحياة التي

تركها وراءه، يُدعى القارئ إلى تجميع شظايا الفسيفساء التي تعكس حقائق النزوح والمرونة.

ما يميز "يوريديس في ليلة رازم" هو تطورها الأسلوبي. يستخدم عقبي بنية سردية غير خطية تعكس ارتباك المنفى، في حين ترفع لغته الغنائية النص إلى جودة شبه أسطورية. تتأرجح الرواية بين الواقعية الصارخة والتجريد الشعري، وهو اختيار أسلوبي متعمد يؤكد على حدود وجود البطل.

سرد عقبي مشبع بالرمزية - سواء كان ذلك استحضارًا مخيفًا ليوريديس كذاكرة مجسدة أو ليلة رازم كساحة معركة مجازية حيث تتصادم الهوية والنزوح. تعكس صور الرواية القصيرة، التي تتسم بالحيوية والزوال في الوقت نفسه، الطبيعة العابرة للحياة في الشتات، حيث لا يتم استيعاب أي شيء بشكل كامل ولكن كل شيء يبقى باقيًا.

في حين أن الرواية القصيرة شخصية للغاية، فإنها تعمل أيضًا كتعليق أوسع على الهوية اليمنية والاضطرابات

الاجتماعية والسياسية التي شكلت سرديات الشتات. إن عمل الروائي عقبي مشبع بثقل التاريخ، وينسج أصداء التراث الثقافي الغني لليمن في حين يشهد على صراعاته المعاصرة. تضع الرواية القصيرة نفسها في موقف رثاء واحتفاء - رثاء لوطن ندبته الصراعات واحتفاء بالروح الدائمة لشعبه.

من خلال وضع بطل الرواية في فرنسا، يزيد عقبي من تعقيد السرد، ويسلط الضوء على التوتر بين تصورات الغرب للشرق والتصور الذاتي للموضوع الشتاتي. إن هذا التفاعل يذكرنا بنظرية إدوارد سعيد في الاستشراق، حيث يبني الغرب سردًا للشرق غالبًا ما يكون اختزاليًا ومُنفِرًا. ينتقد سرد الروائي عقبي هذه الإنشاءات بمهارة بينما يؤكد على وكالة وتعقيد الهوية اليمنية.

على الرغم من تجذرها في الثقافة اليمنية، فإن "يوريديس في ليلة الرزم" تتجاوز سياقها المحدد لتتحدث عن موضوعات عالمية للخسارة والشوق والبحث عن المعنى. تتردد أصداء

الرواية القصيرة مع أي شخص تصارع مع النزوح - سواء كان جغرافيًا أو عاطفيًا أو وجوديًا.

من خلال استكشافها للحالة الإنسانية، تدعو رواية عقبي القراء إلى التفكير في مفاهيمهم الخاصة عن الهوية والذاكرة والانتماء. إنها تتحدانا للنظر في ما يعنيه حمل شظايا من الماضي أثناء التنقل عبر عدم اليقين في الحاضر - وهو سؤال قديم قدم نزول يوريديس إلى العالم السفلي ومعاصر مثل عناوين الأخبار اليوم.

في الختام، إن رواية "يوريديس في ليلة الرزم" للكاتب حميد عقبي هي عمل بارع يحتل مكانة فريدة في الأدب المعاصر. إن اندماجها بين الأسطورة والحداثة، والشخصية والسياسية، والواقعية والتجريد يجعلها استكشافًا عميقًا لتجربة الشتات.

إن هذه الرواية القصيرة لا تروي قصة فحسب؛ بل إنها تخلق تجربة غامرة تظل باقية لفترة طويلة بعد قلب الصفحة

الأخيرة. وبصفتنا قراء، فإننا مدعوون إلى السفر جنبًا إلى جنب مع بطل الرواية إلى أعماق المنفى والذاكرة، والخروج بفهم متجدد لتعقيدات الهوية والقوة الدائمة للفن ورواية القصص.

فلتكن هذه المقدمة دعوة للانطلاق في هذه الرحلة، لتفقد نفسك في متاهة جمال سرد عقبي، واكتشاف الحقائق العالمية التي تربطنا جميعًا في أعماقها.

د. حاتم محمد الشماع

الفصل الأول

بخطوات بطيئة تسير عقارب الساعة الحائطية ذات الإطار الأبيض، تتوقف مشيتها المرتبكة في المساء قبل أن تصل إلى الرقم سبعة. تزداد ضربات قلبي، يتجه نظري وسمعي وكل تركيزي نحو الباب. عندما أسمع خطوة على الدرج، أقبض على روحي وأمني نفسي من أجل ليلة حياة وحبٍّ.

لماذا أرهق نفسي بالانتظار؟ أعرف أنها لن تأتي، لكن قلبي ينصاع للوهم.

أهرع لفتح الباب أحيانًا فلا أجد إلا العتمة والصمت.

أضغط على زر الضوء فأجد سيمون، قط الجارة العجوز في الطابق الأول، يحدق في جهة مدخل الباب الخارجي كأنه هو الآخر ينتظر عشيقته.

تفتح الجارة الباب وتناديه بصوت معاتب:

سيمون، ما الذي تفعله على الدرج يا عزيزي؟ ادخل، الجو يزداد برودة. تعال إلى الدفء.

يستجيب لطلبها، ثم يلقي نظرة أخيرة في المكان، ثم يدخل. تهمس له:

سأحكي لك حكاية القط ذي الحذاء لشارل بيرو. أنت ولد مطيع وتستحق المكافأة.

تبدأ حكاية القط ذي الحذاء، يا عزيزي، عندما يورث رجل فقير لأبنائه الثلاثة ممتلكاته البسيطة، فيكون نصيب الابن الأصغر قطًّا ظريفًا يشبهك تمامًا. يشعر الابن باليأس ويردد في نفسه:

يا لحظي العاثر، ماذا سأفعل بقطٍّ؟ ليت أبي أعطاني منضدة الطعام أو حتى كرسيًّا واحدًا.

تتوقف العجوز وهي تضحك، ثم تتابع:

أتدري أن القط تكلم وطلب من صاحبه حذاء، ثم استخدم ذكاءه ليظهر صاحبه على أنه من النبلاء الأثرياء. بفضل مكر

القط، يتمكن صاحبه من كسب ثقة الملك ويتزوج الأميرة، ويحقق حياة سعيدة وغنية. أنا أيضًا أريدك أن تكون ذكيًا وتحقق لي طلباتي. سأحكي لك الحكاية كاملة وأخبرك بأمنياتي.

في كل ليلة يطل القمر على نافذتي ولا يطرقها، يظل متجمدًا للحظات أو دقائق ينصت للسكون، ثم يرتفع إلى الأعلى. وأحيانًا تعبث الريح بأجنحتها أو تبدل بعضها، تصفع النافذة صفعة واحدة، ثم تمضي لصفع بقية نوافذ الحي. وقد تتشابك أجنحتها مع أغصان الأشجار الكبيرة، فتضطر لقضاء بعض الوقت للخروج من مأزقها. قد تغضب وتجر جسدها بعنف فتتكسر بعض الأغصان.

بعد فراقنا الطويل وقرب اللقاء الأخير الذي حددته في الثامن من ديسمبر، انتظرت الموعد كأني التلميذ الفاشل الذي يعلم أن الاختبار سيكون صعبًا، ومع ذلك بقيت شارد الذهن لا أفعل شيئًا رغم أنني كنت أعرف أهميته. تزداد

لهفتي له وأمنياتي الكثيرة تكبر كل ثانية مع اقترابه، إلا أنني لم أحضر له بشكل جيد.

إنه يوم الوعد. خرجت وأنا متفائل قليلاً. في الطريق، أوقفتني رائحة عطرة تنبعث من محل بيع الزهور. هناك، ابتسمت لي امرأة جميلة ترتدي زيًا مزخرفًا برسومات أنواع من الزهور والورود المشهورة، وقالت:

مِسيو، يبدو أنك تنتظر مواعدة حبيبة. إن كنت تبحث عن ورد أو زهر يجلب تقارب الأحبة، فعليك.

صمتت للحظات ثم أغمضت عينيها وأعادت فتحها وأكملت كلامها:

فهمت طلبك، عليك أن تهديها زهرة القرنفل الأحمر، يعني أن القلب يتألم وفيه قصيدة لم تُكتب، ولا يحكي لأحد قسوة هجر الحبيبة. إذا كان لديك ثلاثة جنيهات، فاشتر بأحدها رغيفًا، وبالثاني وردة أو زهرة، وبالثالث بعض النبيذ.

قلت لها موافقًا:

شكرًا لنصيحتكِ. حسنًا، سأشتري ثلاث زهرات من القرنفل الأحمر.

تأسفت البائعة، وقالت:

غريب جدًّا هذا اليوم، كأنه يوم للمصارحة وطلب المصالحة. نفدت كل الكمية التي أحضرناها. ربما سوف تتوفر لدينا الأسبوع المقبل، وقد لا تجد هذه النوعية في المحلات الأخرى. تأخرت كثيرًا.

ثم تركتني ودخلت المحل. بقيت متجمدًا لدقيقة في مكاني، ثم دخلت لاستكمال النقاش معها. وجدت بائعة عجوزًا وحدها.

كانت شخصيتها غريبة، تذكّرني بإحدى شخصيات تيم بيرتون في فيلم إدوارد ذو الأيدي المقصات.

سألتها عن الفتاة ووصفت لها أوصافها.

ضحكت البائعة العجوز وقالت:

أفعلتها معك ونصحتك بنوع الوردة أو الزهرة التي يجب أن تهديها لحبيبتك؟

قلت لها:

نعم، أين هذه المرأة ومن تكون؟

ضحكت، وقالت: يوريديس.

بعد لحظة قصيرة، نظرت إلي، كأنها لم تتحدث معي أو نسيت ما حكتْه. هتفت:

أعتذر، يا سيد، المحل مغلق. أرجوك أن تغادر.

بحثت في محلات كثيرة عن زهرة القرنفل، ولم أجدها. حزنت لأنني لم أستطع شراء ولو زهرة واحدة. ظل صوت يوريديس، تلك الشابة، يهتف في سمعي. مضى الوقت سريعًا، واضطررت للركض حتى أصل إلى الموعد المنتظر.

الفصل الثاني

التقيتُ مع العشيقة، فردوس، في حانةٍ ظننتُ أنها ستظلُّ هادئةً، أخذنا ركنًا بزاويةٍ تغمرها أضواءٌ ناعمة.

الغريبُ في هذا المكان وجودُ صورة لوحةِ (نزول المسيح من الصليب) للفنان الفرنسي غوستاف دوريه. بقيتُ أتأمَّلُ صورة اللوحة للحظاتٍ، مع استغرابي لوجودها على جدارٍ في هذه الحانة. انجذبتُ بكياني كاملًا مع المشهد الذي صوَّره الفنان دوريه للحظةٍ تُجسِّدُ دراميةً مؤلمةً من سجل آلام المسيح.

أدهشني أسلوبه الثريُّ بالتفاصيل والظلال، كأنّي في هذه اللحظة أسمع آهات يسوع الخافتة والضعيفة، أرى جسده يفقد ثقله، ووزنه الماديُّ يُعبّرُ عن حالة خضوعٍ تامٍّ للرب الذي ضحَّى به. بدت الشخصيات المحيطة به، بعضها غارقٌ في الحزن، والبعض الآخر يبدو كأنه مشلول.

إحدى الشخصيات تصعدُ لتفكَّ القيود، وشخصٌ آخر يصعد معراجًا خشبيًّا ليلتقط الجسد الواهن. كأنّي أعيش المشهد لحظة حدوثه، وأحداثه تحدث أمامي، لكنّي مصابٌ بحالة شلل، لم أقدر على التحرُّك ولو خطوةً واحدة.

فجأةً، أنتبه إلى العشيقة وأسمع طرقاتها على الطاولة كي أخرج من حالة الغياب عنها، وعن نفسي، وهذا المكان. انتبهتُ واحتجتُ للحظاتٍ من أجل العودة إلى الواقع.
لم تكن بقية الجدران تحتوي على صورٍ للوحاتٍ أو علاماتٍ دينيةٍ؛ توجد ملصقاتٌ كثيرةٌ لأنواع مشروباتٍ روحيَّةٍ، وخاصةً ويسكي جاك دانيال، حيث توجد قنينةٌ ضخمةٌ لأحد أنواعها موضوعةٌ في مكانٍ مميزٍ، والكثير من الزبائن يُصوّرونها أو يلتقطون صورًا معها، كأنَّ هذه القنينة تُغري الناظرَ والمتأملَ لها بأن يطلب كأسًا.

وهذا ما حدث معي، فطلبت كأسًا، لكن العشيقة رفضت أن أطلب لها نفس طلبي. ما إن أحضرت النادلة الطلب، سارعتُ لأخذ رشفةٍ وأغريت فردوس أن تشاركني، لكنها هزَّت رأسها بالرفض، كأنَّها تخشى أن يُؤثِّر المشروب على قراراتها وحديثها معي.

لاحظتُ أنها لم تُلقِ نظرةً على صورة غوستاف دوريه، وركَّزت نظرها على القنينة الضخمة فقط. وأنا أتأمَّل تقاسيم وجهها، شعرتُ أن ملامحه جادَّةٌ، لا تظهر عليها علامات الحنين لعشقنا الذي ظننتُه لا يزال حيًّا.

قلت لها:

لم أُحضِّر مونولوجًا أو كلامًا كي أعتذرَ لكِ، كي أرجوكِ أن نعود كما كنا. فأنا كمن سُلِبَ روحه وعقله وفقد خارطته وحتى اللغة، كأنّي. . . نعم، أشعر أني لا أُتقن جملةً واحدةً باللغة الفرنسية أو أيّ لغةٍ أخرى. قبل دخولكِ بلحظاتٍ

بقيتُ متسمّرًا أنظر إلى اللاشيء، تتلاطم في رأسي أمواج الفراغ والصمت.

رَمقتني بنظرة رأفةٍ، ثم تلتها بنظرةٍ جادَّةٍ ورسميةٍ، شعرتُ أنها قاسية. ثم، كأنّي أراها فتحت عينيها وابتسمت ابتسامةً اشتقتُ إليها. ها هي تعضُّ على شفتها السفلى بعد صمتٍ طويل.

همستُ إلى روحها:

لم يكن الزمن عادلًا معنا، لم تصلكِ مناجاتي وهتافات الروح التي كنتُ أبعثها لكِ، لا تخلو قصةٌ أو قصيدةٌ من ذكركِ.

قاطعتني:

لم أكن أُريد أن أُعيدَك إلى الوراء. أنت الحالمُ تملك تسعة أجنحة، وأنا لا شيء، مجرد تجربة عشقٍ سابقٍ، ظننتُ أنها ستمضي وسوفَ تنسى ما حدث بيننا. قرأتُ بعضَ أخبارك، كنتُ أعلم أنك ستنجح وتُحقِّق الشهرة.

قاطعتُها بصوت المشتاق المعتذر:

لا، أبدًا، لم يكن حلمي الشهرة، وربما أنتِ تُبالغين. أنا هو أنا، الطفل المجنون، المجنون في حبكِ، وإلى هذه اللحظة.

هنا، في هذه اللحظة، رأيتُها تنهضُ إلى جهة إحدى زوايا الحانة، ثم تلتقط شيئًا ما صغيرًا وضعته بين كفَّيها. بقيتْ تهمسُ بكلماتٍ لم أفهمها، ثم نفخت في كفَّيها بهدوءٍ. بعدها، فتحت كفَّيها، فرأيتُ فراشةً صغيرةً كأنَّها أفاقت من غيبوبةٍ طويلةٍ.

مشت فردوس إلى جهة النافذة وفتحتها، ثم أطلقت الفراشة وجاءت نحوي. همست بصوتٍ خافتٍ، كأنَّها تريدني أن أُخفض صوتي، فالمكان في هذه الحانة أصبح مزدحمًا، والناس يتحدثون همسًا، ولا أحدَ يُحبُّ سماعَ الصراخ:

لك حياتُك الخاصةُ ومشاريعُك، لا تجعلني أندم لأنِّي قبلت أن نلتقي. ولا يجب أن نُمنِّيَ أنفسنا بأحلامٍ قديمةٍ، لم تتحقَّق بالأمس، ولن تتحقق غدًا. حدث خطأٌ ما، عندما تركنا أنفسنا العنان وحلَّقنا أبعد مما مسموحٌ لنا به. كما تذكرُ

أنتَ في رواياتك، حلم ألف ليلةٍ وليلةٍ. لا أُريد منك شيئًا، ولا تطلبْ مني مواعدةً جديدةً.

فقط، انتبه لنفسك، وحاول أن تُقلِّل من التدخين والشرب.

سألتها:

ستبكين يوم موتي، أليس كذلك؟

صمتت. انهمرت دموعها، ثم نهضت مغادرةً. أمْسكتُ بيدها.

لم تقوَ على الكلام. ابتسمتُ.

قالت:

تبتسم كعادتك، عندما أبكي. لا أُريدك أن تموت. نعم، سأبكيك وأُعلِن الحداد عليك. لم أحقِد عليكَ، ولا تمنَّيتُ لكَ الشر. إنها الحياةُ جمعتنا، ثم فرَّقتنا. لا أحتمل أن نخوض مغامرةً جديدةً. أمامك طريقٌ يجب أن تُكمله بدوني. سأضطرُّ أن أتركك بعد دقائق. سوف يأتي قطاري، اهتم بنفسك.

كأنّي أسمع الآن صوت القطار يدخل المحطة بضجيجه، والحكايات التي يحملها، والأحلام التي سيأخذها إلى البعيد.
تركتني ومضت. بقيتُ متسمّرًا في مكاني، عاجزًا عن فعل أيّ حركةٍ. لم نُودِّع بعضنا.
بقي خيالي يُصوِّر مشيتها إلى المحطة، صعودها القطار، جلوسها قرب النافذة وتحديقها في ساعة المحطة الأخيرة كأنّها تستعجل القطار والزمن أن يتقدما بسرعةٍ ويأخذانها من هنا. ثم أرى القطار يتحرك ببطءٍ وتزيد سرعته. تُغمض عينيها ثم تنظر من النافذة مودِّعةً هذه المدينة.
للحظاتٍ كان أملي أن تعود فردوس مبتسمةً أو باكيةً لترتمي في صدري وتضرب كتفي وهي تهمس:
لماذا لم تمسك بيدي وأنا أُغادر وتجذبني برفقٍ كي أعود وأظلَّ معكَ إلى الأبد.
أشعر أنَّ أحلام يقظتي أكثر تهوُّرًا، تقودني إلى أبعد من الخيال.

حدوث هذا اللقاء كان أشبه بلحظة حلم يقظة، أو صدفة قدرية ساحرة، لم نحسب لها حسابًا، ولم نتوقعها بعد فراق آلاف الأيام. لم يستطع خيالي المرتبك أن يحسبها بدقة.

أحقًّا مضى على فراقنا كلُّ هذا الزمن الطويل؟ لا أعرف كيف سوف أتنفَّس وأمشي وأنام بعد هذا اللقاء. ربما الكتابة ساعدتني في الماضي، فظلَّ قلبي ينبض وصدري يتنفَّس. لم أفكِّر بالانتقام منها في كتاباتي، وتصويرها في شكل وحش أو زومبي. كان بمقدوري أن أفعل ذلك وأكرهها من دواخلي.

أن أزجَّ بنفسي في مغامرات جديدة. كلَّ ليلةٍ تأتي في مخيِّلتي، وأنوي الهروب منها إلى عوالم جديدة.

الفصل الثالث

بقيتُ جامدًا أُقلِّب صفحاتِ دفترِ ذكرياتي، سمعتُ صوتَ المرأةِ بائعةِ الزهورِ "يوريديس"، هتفت بصوتٍ خافتٍ، ربما لم يسمعْه أحدٌ غيري:

"أكانَ حُبُّها منقذًا وحافظًا لك أم سببًا للتصدُّعِ في حياتك؟ لم تعد حياتُك وأحلامُك كما كانت قبل أن تلتقي بها. "

قلتُ لها:

"أتذكرُ تلك الليلةَ النوفمبريةَ العاصفةَ، ليلةَ فعلنا ذلك لأول مرة. قبل تلك الليلةِ كنَّا نلتقي، نأكل معًا، تنام عندي أو أنام في شقتها الصغيرة. يزدادُ اهتمامي بها، ولم أكن أُخططْ لشيءٍ، وربما هي أيضًا لم تُخططْ لتلك الرغبةِ، فقد منحتها الحُكم الكامل. أتذكرُ أنَّ تصرُّفاتنا كانت عفويةً، بل ربما بدائيةً. فعلناها في ضوء شمعةٍ واحدةٍ. هرب كلٌّ واحدٍ منا في جسدِ الآخرِ، خوفًا من الرعدِ والبرقِ."

بدت يوريديس متحمسةً لسماع بقيةِ ما حدث. أكملتُ حديثي وقلتُ:

"كنتُ أدعوها أن نبتكرَ ذكرياتٍ لا تُنسى في اللحظاتِ الحميمية. تفعل ذلك بمرحٍ وسرورٍ. ينحني رأسُها نحوي، ترتفعُ لتُقبّلني، ثم تدفعُ بنفسها إلى الأمام، تُطبقُ بجسدِها على جسدي. أشعرُ بدفءِ تلك اللحظة."

"أتذكرُ فمَها الشجاعَ، التواقَ إلى القُبلاتِ. تصبحُ روحانا رطبتينِ، تدعوني أن أرتشفَ كلَّ شيءٍ أنثويٍّ في جسدِها، من الشفتينِ، ثم أهبط وأهبط إلى العنقِ، الصدرِ، البطنِ، ثم أُبعد وأُبعد."

تعالت ضحكاتُ يوريديس بصوتٍ مرتفعٍ جعلت البعضَ يلتفتُ باحثًا عن صاحبةِ الضحكةِ، وأوقفتني بقولها:

"ستوب! توقَّفْ، أنا خرجتُ قبل لحظاتٍ من الجحيمِ. يُخرجني الربُّ للتخفيفِ من وجعِ وألمِ عاشقٍ. لكني امرأةٌ، ولا أُريدُ شيئًا ساذجًا، ولا نهايةً تراجيديةً أو أسطوريةً مع

أورفيوس آخر. يُمكنك ألا تُكرّر الحديثَ عن الفعلِ الجنسيّ بتفاصيله الصغيرةِ، وهذا الوصفُ التصويريُّ. قُلْ فعلناها، وسأفهمك."

أكملتُ حديثي:

"أحببنا بعضنا بحُبٍّ جامحٍ ومختلفٍ. أنا هنا في عالمٍ تتعقد فيه العلاقات الإنسانية وتضطرب بسرعة، خوف وتنامي التيارات العنصرية، كل شيءٍ أصبح للاستهلاك وأشعر أن موتي يقترب."

ضحكت يوريديس، كأنها لم تسمع عبارتي الأخيرة "موتي يقترب"، نهضت وأحضرت كأسًا من المارغريتا، أمسكت إحدى قطع الثلج المكعب وبلَّلت بها شفتيها. الغريب أنها اكتفت بهذا الفعل ولم تأخذْ رشفةً واحدة، ثم قالت:

"إنها كالسحرِ إذن، لا تستطيعُ فكَّه. لم أجد إلى الآن عاشقًا يبحثُ عن عشيقتهِ لتُعيدَه عاشقًا. كبرَ سنِّي الآن منذ خذلني أورفيوس. لم يُكرّرْ محاولتَهُ لانتشالي من مملكةِ الظلمةِ أو

يُقنعْ آلهةَ ذلك الزمانِ لإطلاقِ سراحي. فعلَ محاولةً واحدةً فشلتْ في اللحظةِ الأخيرةِ. كان بيني وبينَ النورِ خطوةٌ واحدةٌ، كنتُ أسيرُ وراءَهُ، لكنه التفت. أنت بالتأكيد تعرف القصة. العالم كله يعرفُها، لكنكم قد لا تعرفون معنى الخلودِ في العتمةِ والانتظارِ. لا شيء إلا الانتظار."

"حلمتُ أن ألتقي بشاعرٍ لا يُشبهه في مجونهِ الباذخِ، ولا يُشبه شعراءَ اليونانِ القدماءِ المرتبطينَ بالسلطةِ والسلاطينِ. السياسةُ لبناءِ الحياةِ، لكن أغلبَ الساسةِ يُفسدونَ الجمال."

"وإلى هذه اللحظة أُبحثُ عن شعراءَ يُؤمنونَ بالحبِّ بعيدًا عن القوانينِ المدنيةِ والمصالحِ، لأنها تُفسدُ الشعرَ، وإذا فسدَ الشعرُ تفسدُ الحياةُ."

فجأةً تتغيَّرُ معالمُ المكانِ. يزحفُ ضبابٌ كثيفٌ يجعلُ الرؤيةَ مشوَّشةً. للحظاتٍ أكونُ كالغارقِ في لُجةِ الضياعِ، كأنّي أسمع صوتَ طائرٍ غريبٍ، ثم ينقشعُ كلُّ هذا لتعودَ للمكانِ

تفاصيلُه الطبيعيةُ. أتفاجأ بزيادةِ الازدحامِ في الحانةِ، قهقهةٌ من شبابٍ وشاباتٍ جميلاتٍ.

وللمرةِ الثانيةِ تختفي يوريديس.

همست:

فردوس، افتحي صدركِ لرياحي ومطري، لرعدي وبرقي. وقعتُ في براثنِ سحركِ. كلُّ الأماكنِ تذكرني بكِ. تزدادُ تهيؤاتي.

أبحثُ عن وسائلَ مسكِّنةٍ تعويضيةٍ، فأجدُ الكتابةَ منفذي الأكثر رحابةً ولذةً. بوسعي أن أخلقَ حوريةً مثلكِ وأخلقَ صدفةً للقاءٍ وليلةً عاصفةً وأتركُ لها القيادة.

يعود صوتٌ يشبه صوت يوريديس، ولا أرى صورتها. تردُّ على هذياني الداخليِّ، وتقول:

"ولكنْ بعدَ شهرٍ أو شهرينِ، ستعرفُ أنها حوريةٌ متخيَّلةٌ، وربما يستمتعُ بها غيرُك من القراءِ، وقد يُضيفُ إليها أحدهم من خيالهِ، فتصبحُ أكثرَ سحرًا وأناقةً من حوريتك. "

ثم أكملتْ حديثها وهي تقتربُ مني بزيّ نادلةٍ أنيقةٍ، بملبسٍ مغرٍ وجذابٍ، ووَشوشتْ في سمعي:

"أنت محكومٌ أيضًا بأعرافٍ شرقيةٍ، بطاقةٍ مدنيةٍ وحالةٍ اجتماعيةٍ، فلستَ حرًّا بما تعنيه الحريةُ الكاملةُ المطلقةُ. كنتَ مقيَّدًا منذُ مرحلةِ المراهقةِ، ووجدتَ في الدينِ والتديُّنِ ملاذًا لتهذيبِ الثوراتِ الجامحةِ. كتمتَ أنفاسَ ذاتكَ، خنقتها لسنواتٍ عديدةٍ، ثم تحرَّرت من الجماعاتِ الدينيةِ وهرعتَ إلى قراءةِ الرواياتِ. بقيتَ، وربما إلى الآن، الرجلَ الذي يفتَرِسهُ الخوفُ والخجلُ، الرجلَ الذي ينتظرُ (حوريةً) جديدةً تُنسيهِ الأولى وتكونُ الحوريةَ البديلةَ، ثم تهجرُه أو تهجركَ، وهكذا معادلةٌ هرميةٌ مقلوبةٌ. حاولْ أن تدرسَ وتفهمَ معادلةَ شرودنغر."

ضحكتُ، وقلتُ لها:

"معادلةُ شرودنغر؟ لأولِ مرةٍ أسمعُ بها. أحاولُ بكلِّ قوتي أن أكونَ رجلًا مهذبًا مدنيًّا. مع ذلك تُغريني النادلاتُ المثيراتُ.

سوف تجعلينني أندفعُ إلى هذه الحانةِ كلَّ يومٍ، وسوف أحضرُ من أجلكِ. يحدثُ أحيانًا أن تلفتَ انتباهي نادلةٌ ساحرةٌ في حانةٍ ما، تدفعني إلى الدخولِ، أشربُ كأسًا، وأتأملُ فيها. بعضُ النظراتِ تُسكرُ أكثرَ من الخمرِ، ثم قد تُولِّدُ في ذهني صورةً أو العبارةَ الأولى لنصٍّ جديدٍ. أيحقُّ لي أن أُعيدَ وأستحضرَ صورَ النادلاتِ المثيراتِ؟ وهل هذهِ الحكاياتُ والقصصُ ملكٌ لي أم لهنَّ أيضًا؟"

سقط الكأسُ من على الطاولةِ، ركضتْ إلى المكانِ نادلةٌ سمينةٌ، بوجهٍ متجهّمٍ، وصرختْ بي:

"أرجوكَ يا سيدُ، عليكَ تركُ المكانِ. لو بقينا مع زبائنَ أمثالِ هذا اليومِ، سنخسرُ مئةَ كأسٍ. ما الذي يحدثُ في رؤوسِكم أيها الرجالُ؟ ما الذي تتخيَّلونهُ ويجعلكم في حالةٍ أشبهَ بشللِ النومِ؟"

هنا، وكأنّي أسمعُ سقوطَ أكثرَ من كأسٍ. يرتفعُ صوتُ النادلةِ السمينةِ إلى صراخٍ غاضبٍ، ويبدو أنها تطردُ المزيدَ من الزبائنِ بسببِ سقوطِ كؤوسِهم.

ابتعدتُ عن الحانةِ قليلًا، وبقيتُ أمشي وحدي، ولم أفهمْ ما قصدته تلكَ النادلةُ السمينةُ الغاضبةُ وقولها:

"أنتم أيها الرجالُ، وكلُّ تلك العبارات. "

بعد أن مشيتُ أكثرَ من مئةِ مترٍ، إذ بي أجدُ شخصًا غريبَ الأطوارِ، تُناديهِ بعضُ الفتياتِ باسمِ "لغاس"، يحملُ كيسًا من القماشِ يضعُ فيه أوراقًا كرتونيةً مكتوبًا عليها بعضُ العباراتِ. وعندما يرى فتاةً أو شابًا، يستخرجُ إحدى أوراقهِ بشكلٍ عشوائيٍّ، قد يكونُ مكتوبًا عليها كلمةٌ أو عبارةٌ، مثلًا:

"أنت في الطريقِ"، "هو يحبُّكِ"، "هي تحبُّكِ. . . "

اقتربتْ منه بفرحٍ فتاةٌ شابةٌ وجميلةٌ ذات شبهٍ قريبٍ من النجمةِ الأمريكيةِ مارلين مونرو. نظرَ إليها لغاسُ مبتسمًا، ثم

غمسَ يدَهُ في كيسهِ وأخذَ لوحةً رفعها. تغيَّرتْ ملامحُ الفتاةِ، تجمَّدتْ للحظاتٍ، ثم انفجرتْ بالبكاءِ.

اقتربتُ لقراءةِ اللوحةِ، واندهشتُ من العبارةِ:

"يراَكِ قبيحةً، لا يُحبُّكِ. "

أيعقلُ أن يحكم أحد على هذا الجمالِ ويصفَهُ بالقُبحِ؟

مشتِ الفتاة مبتعدةً وهي تُخرِجُ بعضَ الصورِ من حقيبتِها، تُمزّقُها وتَرمي بها في سلةِ المهملاتِ المخصَّصةِ لرَوثِ الكلابِ.

قلتُ لنفسي:

"ربما كانتْ صورَ حبيبِها."

الفصل الرابع

رأيت إقبال الشباب على لغاس ليعرفوا حظوظهم، وخاصة مع الحب. بقيت أراقب المشهد، فاقترب مني وأخذ من كيسه ورقة بشكل عشوائي، ورفعها في وجهي. فإذا بها خالية من أي كتابة أو رمز.

تأمل ردة فعلي للحظة، فقد بقيت متجمدا. نظر إلى اللوحة، ففاجأني بأنه ينفعل ويمزقها، ثم دار حول نفسه وركض إلى أحد الأزقة. بعد لحظات، رأيته يركض وهو يحمل معراجا خشبيا يشبه ذلك المعراج في لوحة (نزول المسيح من الصليب)، المعلقة في الحانة.

حاولت تحريك قدمي اليمنى، كأني أسمع وأرى القطار الذي ركبته فردوس يتجه نحوي، وقد يسحقني لو بقيت في مكاني. بذلت كل جهدي، وشعرت بالعرق يبلل صدري. أخيرا نجحت

في زحزحة جسدي، شعرت بريح تلفحني وكأنها ريح مرور قطار ضخم.

هنا، أتفاجأ بظهور "يوريديس"، تلحق بي وهي بزي يشبه زي مشجعات كرة السلة، وتكون بيدها كرة سلة. تضرب بها، وكأنها تريدني مشاركتها. نظرت إليها لتأملها، فهوت بالكرة نحو وجهي وكادت تكسر نظاراتي، وكأنها تطلب مني غض بصري، ثم قالت:

"أوه، أنت تحبها سهلة وبسيطة، أليس كذلك؟ حبيبة تأخذك كما أنت، بلا شروط، بلا قائمة طلبات مادية أو مدنية، فقط تعانقك وتبتسم. لكنك، في نفس الوقت، لا تحب هؤلاء النسوة اللاتي يقايضن العاطفة بالهدايا، أليس كذلك؟

معك حق. هذا زمن عجيب. يمكنك أن تكون لديك خليلة في كل زاوية، افتراضية أو حقيقية، طالما لديك المال الكافي لترضي الطموحات، كما كان يفعل أورفيوس ورفاقه. كل شيء صار صفقة. المال يفتح الأبواب، موني، موني. . .

والكثير من القلوب أيضا يفتحها المال والموني. لكن، هل المال كاف؟ أوه، لا تقل لي أنك تؤمن بأن الحب ما زال حيا !
نظن أن الحب يمكنه النجاة، لكننا قد نفقده في النهاية. "
قلت لها:
"يحدث من حين إلى آخر أن أقع بصدفة تعارف عابرة مع نساء لهن بعض المواصفات الفردوسية، وأشعر بأني لا زلت مرغوبا، رغم ما بدأت ترسمه الأيام على وجهي المرهق. وقد أنظر إلى المرآة يوما وأتفاجأ بزحف علامات وتجاعيد تنبئني أنني دخلت فعلا في نهاية العقد الرابع من عمري. "
هبت رجفة من الريح ثم مضت، أمسكت تنورتها القصيرة، ثم سألتني:
"ماذا سيحدث بعد هذا اللقاء؟
هل أغلقت العشيقة كل أبواب الوصال، ويجب أن تقتنع بذلك، أم ربما قد تراجع نفسها وتعود إليك؟ عرضت عليها

أن تعودا كأصدقاء، لتكن بينكما صداقة؟ يبدو أنها لم تتحمس لهذا العرض، أليس كذلك؟"

عدت لهذياني، قلت لها:

"إنها الجنة على الأرض، لياليا تزهر بالملذات الفردوسية. أتذكر عبارتها هذه، وعبارات كثيرة تعكس ما في نفسها من فرح ونحن في حالات العناق. نفعلها مرتين على الأقل كل ليلة. بعد أن ننتهي من الأولى، نبحث عن فيلم لطيف أو نتحدث عن أشياء بعيدة عن موضوع الجنس. نادرا ما كنا نتحدث عن الجنس، رغم أننا نفعلُه بكثرة. "

أحيانا كانت تبتسم وتقول:

"معقولة ! اليوم والليلة فعلناها ثلاث مرات!"

أصمت للحظات، أرفع نظري إلى السماء كأنها لوحة يبدأ الليل يرسم أول خطوطه فيها، ثم أكمل:

"كثيرا، مثل هذه العبارة، تدفعنا إلى فعل الحب. لم نخلق أو نتفق على قواعد ما تحدد أو تقنن اللذة. تمنيت في لحظة

هذا اللقاء وأنا أمسك بيدها أن آخذها ونغادر، نترك هذه المدينة وهذا البلد، نذهب إلى مكان بعيد نكون فيه وحدنا. لم يكن دافع هذه الأمنية أن نعيد فعل ما مضى من الجنون الجنسي، لم أفكر بها في مشهد متعة. منذ زمن طويل وأنا أفكر فيها لشيء آخر؛ لمجرد أن نكون قرب بعضنا، أن تتلامس وتتشابك أصابعنا، أن أسمع همسات أنفاسها اللطيفة الهادئة، وأحكي لها ما كتبته طيلة هذه السنوات. "

قاطعتني وأوقفتني عن المشي، وقالت:

"كتبت الكثير، ونشرت الكثير من الكتب، وربما لم تكتب عشرة بالمئة مما يوجد في خيالاتك. ولا أدري إن كنت ستعيش لتكتب أكثر. فأنت تشعر بموتك يقترب كل يوم، وقد لا يمهلك أن تصل إلى نصف أو ربع ما يوجد بدواخلك. لا يبدو أنك تملك حلا لنفسك أو لمشاكل ومصائب هذا الكون، كأنك تريد أن تتخلص من كل صور الأحلام

والذكريات، من هزائم وفشل الماضي والحاضر، أم تريد أن تعرف من تكون؟"

قلت لها، وأنا أشعر أنها مجرد طيف، وكما قالت يتركها الرب تخرج من الدهاليز السفلية، ثم يعيدها إلى سجنها الأحمر، ولا أفهم كيف عرفت عني هذه المعلومات:

"أريد الآن أن أعود إلى البيت، إلى وحدتي وعزلتي. أتمنى نوما عميقا، لكني أخاف الرازم. الرازم حالة من شلل النوم، شيئا ما أو مخلوقات شريرة تقيدك، تقذف بك في براكين الرعب والمتاهات. يأتي الرازم للأشخاص المدمنين على تناول نبتة القات إذا لم يتناولواها. هذا ما كان يحدث معي أحيانا عندما كنت في اليمن. عندما وصلت إلى فرنسا، عشت لسنوات في سلام بدون هذا الرازم المخيف. لا أدري لماذا الآن أنا أخافه، وخاصة هذه الليلة. "

قالت:

"لا، أرجوك، أكمل حكايتك مع فردوس، وأبعدني عن هذا الرازم، وإلا سوف أوجه ضربة كرة، وأكسر نظاراتك؟"

قلت لها:

"في الأشهر الأخيرة من علاقتنا ظهرت بعض المشاحنات بيننا، لكنني كنت أبتكر وسائل لتلطيف الجو، وتنتهي ليلتنا بممارسة ممتعة. قلت بهجة اللذة، لكنها كانت تفاجئني أحيانا بليلة ساحرة تعيدنا إلى الليالي الأولى. بل الأشهر الستة الأولى كانت لياليا مفعمة بالجنون اللامحدود. أكاد أسمع شهقاتها، تهزني، يرتجف كل شيء معنا. لم أقع ضحية للرازم ولا مرة عندما كنت معها. لم أقع في هذا الرعب حتى بعد فراقنا. ربما لأنها لم تغادر مخيلتي، وكان لدي أمل، ولو واحد في الألف، أن يحدث لقاء يرتبه لنا القدر، ويعيد ربط حبال الود. لماذا، من لحظة مغادرتها اليوم، تبخرت؟"

تنصت يوريديس باهتمام، لأول مرة أنظر إلى عينيها الساحرتين، أكمل حديثي وكأني أنوي أن أقتنع بغلق ملف العشيقة:

"لم يبق شيء من أثرها، لم تترك ولو منديل مستخدم فيه بعض منها. ثم تركتني لشريط راجعت فيه بعض المشاهد من حياتنا، ثم تفجر بداخلي الخوف من الرازم. "

كان شعوري بوجودها كشعوري بأنفاسي. الآن أفتقدها، لم تعد بالقرب مني. حدث ويحدث أمر ما . لأول مرة . ينتابني الشعور أني أفقدها، وأن الرازم يبدأ من هذه اللحظة يلاحقني، يقترب ويقترب.

الفصل الخامس

انتهى هذا اليوم، أشعر برجفة البرد، ثم يتلاشى صوت يوريديس، تلاشت صورتها، ووجدت نفسي وحدي.

ولا أملك فعل شيء، لكن يبدو أن هذه الليلة ستكون مختلفة، وقد تحدث فيها أمور تثير الرهبة والخوف. ميلاد الرازم. أشعر ببرودة أصابعي وقدميَّ، برودة غريبة تغتالني. أقولها بصراحة:

نعم، أنا خائف من الرازم، ولا منقذ لي إلا نبتة القات.

كنت أسمع أنها تباع يابسة ومجففة، أعرف شخصًا هنا يمكنه أن يسعفني ولو بالقليل. اتصلت به فورًا، فردَّ أنه خارج المدينة ولن يعود إلا بعد بضعة أيام. بدأت أشعر بغول الرازم كأنه يتهيأ للزحف نحوي. حالة الرازم تتشابه مع وصف يوريديس لعالم الظلمة المخيف الذي يعيشه بعض

الموتى الذين يتوهمون دخولهم الجحيم بعد البعث من القبور.

كأن يوريديس لا تؤمن بالجحيم أو الفردوس، وكل ما يزعجها في مملكة الموت ذلك السكون والفراغ اللانهائي، الظلمة التامة. سوف أسألها أكثر عن هذا العالم عندما تعود للظهور وأفهم مدى إيمانها بالبعث والنشور ويوم القيامة.

تشتعل رغبتي إلى تناول القات وتزداد.

لا أشعر برغبة في شرب النبيذ أو أي مشروب، لم تعد معدتي تتقبل الشرب. لا طعم ولا مذاق للسجائر. لم يعد لي الكثير من الأصدقاء، ولم أعد أبوح بأسراري لأحد. فقط وأنا أكتب، فقد يختلط ويتمازج المتخيل بالحياتي الذاتي. سألت نفسي مجددًا: أحقًا رأيتها اليوم، وحدث ذلك الحديث القصير، أم أن المشهد كان خياليًا بحتًا؟

فجأة، تعود يوريديس وهي ترتدي ملابس راهبة، كأن زيها يميل لزي راهبات الشرق، راهبات كنيسة القلب الأقدس في

بغداد، أو من راهبات كاتدرائية مارجرجس بباب توما في دمشق.

تقترب مني وتسلم عليَّ، وكأننا لم نلتقِ من قبل، ثم تضحك وتقول:

"الآن، حقًا أنت مرتبك، وتشعر بالبرد والخوف معًا. يبدو أنك لست على ما يرام ولا تدري كيف تحسم بين الحقيقة والخيال لما يحدث لك؟"

بقيت متسمرًا، لكني شعرت وكأنها جلبت معها الدفء لي وللمدينة بأكملها. نسيت أن أطرح عليها الأسئلة الشائكة أو يزيد انجذابي إليها. خفت أن تزج أسئلتي بها للعالم الذي جاءت منه. ربما قدري أن تكون معي وتدفع عني شر الرازم المرعب.

انحدرت الشمس إلى عالمها الآخر. كأني أشعر بأنها لن تشرق غدًا، وربما ستغيب لعدة أيام أو أسابيع. يحدث هذا في عز

الصيف. يغمر الضباب هذه المدينة الأطلسية، يفترش البرد الأرصفة والأزقة، ويسكن جسدي.

قلت لها:

"كنت بمساعدة النبيذ، ولا سيما نبيذ بوردو، أُسَلِّط خيالي على حواسي كي أرى العشيقة في بعض الأماكن التي مررنا بها. كانت هذه المشاهد الخيالية تخفف من وجع البعد والفراق. ومن وحي هذا الألم، وها أنت أيضًا تدخلين رأسي وخيالي في عالمك المشوش. ترعبني الحرب هناك في بلدي البعيدة، ويوهمني ملاك الموت بأنه الصديق والرفيق. أشتكي له، وأعترض على بعض تصرفاته. يفاجئني بما يمتلكه من وجوه وأقنعة. لكنه دائمًا يخفي دفاتره المتعلقة بوظيفته كملاك موت، كأنه يعلم أني أريده أن يخبرني عن العشيقة. لا أتصورها ميتة، ولكن سألتُهُ عنها، لأنه بحركته السهلة يدخل كل بيت ومكان. أنا متأكد أن لديه معلومات عنها. هو أيضًا يفاجئني بهمَساته في بعض كتاباتي وأسئلتي. أغضب منه،

وأعتذر له. يبدو أنه يتقن ويتفنن في التعامل مع الكتاب والفنانين. يعرف متى يظهر، ومتى يختفي. "

"أتَعرِفين؟ بالتأكيد هو سلط عليكِ الأفعى أو تجسد فيها ليأخذك إلى العالم السفلي؟"

ظلت تعدل غطاء الرأس كأنها لم تعتد وضعه، ثم همست لي:

"أنت تضيع الوقت في الفلاش باك واستجرار الماضي، هل بيتك قريب أم ندخل في حانة أخرى؟ أشعر بالعطش بعد تقبيلك، محرم عليَّ أن أفعل هذه الأفعال؟ "

قلت لها:

"البيت على بعد خطوات، على الرحب والسعة، تفضلي. "

بدأ خيالي يرسم ذلك العالم الذي جاءت منه، وثارت في ذهني الكثير من الأسئلة عنه، كأنها تعرف ما يخطر في رأسي، توقفت للحظة ونحن على مقربة خطوات من سكَنِي، وقالت:

"تتصور الناس أن العالم الآخر ذو فضاء مستطيل أو مربع، قد لا يتخيلون أنه أقرب إلى الفضاء الهرمي وله قمة لا محدودة. لن أخبرك بشكله وحجمه، سأدع خيالك يرسمه."

الفصل السادس

لا يزال الرازم هو التحدي الجديد، الشيطان الذي لم تربطني به صداقة، ولم أتقرب إليه. لم أطلب وده ودعمه، أمدح الملائكة، أحلق معهم، وأتخيل عالمهم. يوريديس أهي ملاك أم مجرد امرأة أفلتت من عالم الموت لساعة أو يوم أو سنة؟

بعد أن فشلت كل محاولاتي للحصول على نبتة القات، السلاح الوحيد ضد الرازم، ضد الرعب والشيطان، ربما سيكون القات مبهجًا لتضحك يوريديس. عدت أتصل ببائع القات، ولكنه لم يرد.

سارعت وخلعت زي الراهبات، وكان تحته زي مشجعات كرة السلة القصير جدًا. أعددت لها بعض الطعام. حكيت لها كل النكات التي أعرفها، فضحكت كثيرًا، وهمست لي:

قد أظل معك لمدة أسبوع، وربما سنة. المهم أن تضحكني كل ليلة. ستوب فلاش باك وذكريات الهجر والحروب. حزني أو اكتئابي قد يعني هلاك عشاق هذه المدينة.

في هذه اللحظة، دق جرس الباب. شعرت يوريديس بشيء من الخوف العابر، لكنها توجهت لفتح الباب وكأنها تعرف هوية الطارق.

عندما فتحت الباب، ظهرت جارتي بالدور الأرضي، امرأة عجوز نحيلة، طويلة القامة، ذات وجه مجعد ومعطف كأنه معطف عسكري باهت اللون وقديم. كانت تحمل فانوسًا قديمًا تشتعل فتيلته بالكيروسين، وفي يدها الأخرى علبة أعواد ثقاب. قالت بصوت مبحوح وبلهجة متوسلة:

أرجوكما، أحتاج إلى مساعدة أحدكما لإشعال هذا الفانوس. سيمون، قطِّي العزيز، لا يحب المصابيح الكهربائية، وأنا... لم أعد أرى الأشياء جيدًا إلا عبر هذا النور القديم.

تراجعت يوريديس خطوة إلى الوراء، وأشارت إلي بصمت لأتولى المهمة. تناولت الفانوس وأشعلت فتيلته بحذر. أضاء وهجًا باهتًا، لكنه بدا وكأنه يحمل دفء العالم القديم. تهلل وجه العجوز بالفرح، ثم شكرتني بصوت مرتعش. وفجأة، بدأت تغني بصوت غريب وبنغمة غير مألوفة:

"هيا لنغني كولا يا أخي الصغير/ هيا لتنام، سترضع الحليب فيما بعد/ ماما في الأعلى... ماما في الأعلى. . . "

كانت تهز رأسها برفق وكأنها تغني لطفل غير مرئي. خرجت من الباب ببطء، وما زالت تواصل غناءها الغريب حتى اختفت.

لأول مرة تصعد هذه الجارة العجوز إلى شقتي وتطرق بابي. بدا لي أن ظهورها يحمل رسالة غامضة كأنها موجهة إلى يوريديس. لكن الأخيرة لم تُعلق على الحدث وكأنها اعتادت أمورًا كهذه. قلت في نفسي: سألتها غدًا.

بدت يوريديس متعبة وتستعد للنوم، سألتها: لمَ تشربي كأسك؟ سأعد لك العشاء.

ضحكت واقتربت مني، أنعشني عطرها الهادئ، وكأنه عطر من زهور القرنفل، ردت:

أنا جئت من عالم آخر، فقط أبلل شفتي بقطع الثلج الممزوج بالخمر. هناك أخذوا أمعائي ومعدتي وأشياء أخرى، ووضعوها في صندوق نحاسي، وقالوا: ستظل هذه الأشياء إلى يوم آخر. لا أدري، أحقًا سيأتي هذا اليوم أم لا.

أنا لا آكل ولا أشرب، ولا أقدر على ممارسة الجنس بحسب قولهم إلى يوم آخر. لا تقلق، لا أشرب دماء البشر، ولا أي دماء، ولا آكل أي لحم. الثلج المنقوع بالخمر هو الشيء الوحيد المباح لي. هذا هو قدري.

بقيت متسمرًا للحظات من حكم هذا القدر. ثم عدت أسألها: رأيتك للمرة الأولى في محل بيع الورد والزهور بملبس بائعة الورد، ثم زي نادلة، وبعد ذلك مشجعة كرة سلة، وأخيرًا زي كاهنة؟

قاطعتني وكأنها فهمت السؤال، التفتت يمينًا ويسارًا وهمست: لا أحب الاستجواب والتفتيش من شرطة حراس الأرواح، يطرحون مئة سؤال وسؤال وفهمهم بطيء. ابتكرت هذه الوسائل مؤخرًا وتخلصت من التوقيف والاستجواب. بعض الأرواح تكون في شكل ظل مقصوص من النصف، وبعضها في شكل فراشة ذات ثلاثة أجنحة أو عصفور بجناح واحد، وبعضها تخرج بجسد كامل مثلي. أتعلم، بعضها يثير الرعب، فقد يتحلل الجسد كاملًا ويظل منه فقط الرأس أو يد واحدة. البروتوكولات والقوانين تتغير أحيانًا بشكل مفاجئ ولا يخبروننا بها.

عصف بي كلامها عن هذا العالم الذي أشعر أني أقترب منه أو أن شيئًا خفيًا يدفعني إليه.

ابتسمت، قبلتني، وذهبت لتنام.

بقيت لوحدي. لا أدري ماذا أفعل، ومن أين أحصل على قصص فكاهية جديدة مضحكة. أقاوم النوم بالشاي والقهوة إلى أن طلع الصبح. خرجت، مشيت بغير هدف إلى حافة القناة. صباح بلا شمس ولا فرح، صباح فارغ، لا حركة ولا ضجيج. قليلة جدًا تلك النوارس التي بدأت تحلق وتهبط، تتعارك ولكنها لم تخلق ضجيجًا يقلق أهل المدينة.

لوحدي في هذا الكون البارد، يلفني الضباب الكثيف. كل شيء يبدو مهزوزًا، رؤيتي مهزوزة وغير سوية. ليتني نمت وتحملت قسوة الرازم دقيقة، ونهضت بعقل ورؤية واضحة. أكاد لا أعرف تفاصيل الطريق، لا أرى شيئًا واضحًا. فقدت طريق العودة إلى البيت. لا أحد يمر أو يتحرك كي يساعدني لمعرفة الاتجاه المؤدي إلى البيت. أنا ضائع، تائه، أشعر بالبرد، أشعر بالخوف.

هنا، في هذه اللحظة، أنا متيقن مما أسمعه. أسمع صوت ديك، كأنه يأتي من مسافة قريبة، ولكني لا أرى شيئًا. فجأة، يبدأ يظهر لي رغم أردية الضباب السميكة. المفاجأة أنه ديك ملكي تايلاندي من نوع التاو. بدأت أرى ملامحه: بدت أرجله الضخمة البرتقالية. ألوانه الزاهية شقت الضباب وقهرت التشويش. رأيت رقبته الطويلة المميزة. بدت لي أنها تطول بالتدريج. لم أفلح في رؤية لون عينيه أو أنه دون عينين.

ها هو يقترب نحوي. يتوقف، يحرك رأسه، ثم يتحرك، كأنه يشير لي أن أتبعه. تجمدت في مكاني، وأنا أسأل نفسي: من أين جاء؟ وإلى أين سوف يقودني؟

همست في نفسي، أحضها أن تتحدى هذا الضباب:

أنا ضائع، فقدت معالم المكان والزمان. أهو الرازم؟ أهو ملاك أم شيطان؟ وماذا سيحدث؟ ولم أعد بقصص فكاهية لتضحك يوريديس.

تركتها نائمة في بيتي. يجب أن تعود كي أضحكها، ولا يحدث الخراب في هذه المدينة. ما الحل؟

عدت أهمهم لنفسي: لا مخرج لي إلا هذا الديك. قد يقودني إلى العشيقة التي أخذت القطار إلى مدينة أجهل موقعها، أو إلى يوريديس النائمة في بيتي، أو إلى عالم آخر.

يزداد شعوري بالبرد كلما تراجعت خطوة إلى الوراء. يتوقف هذا الديك الغريب وينظر نحوي. كأني أشعر بلمسة دفء خفيفة. تقدمت خطوة ثانية كي أتحقق من لمسة الدفء. نعم، كل خطوة وراء هذا الكائن تعني شيئًا من الدفء. تكبر ثقتي فيه. يشير إلي مشجعًا للتقدم أكثر وأكثر.

تجمدت للحظة. لابد أن أتخذ قراري الآن:

أن أطيعه وأتركه يقودني إلى عالمه، أو أن أظل هنا شريدًا، وحيدًا، وخائفًا.

حميد عقبي

Hamid OQABI

كتاب رواية يوريديس في ليلة الرازم هو التعاون والدعم الثالث من مؤسسة أطياف الثقافية للكاتب حميد عقبي وسبق اصدار ديوان دمي يسري في خد كل وردة وكتاب ليلة ممطرة، نص مسرحي.

له تسع روايات حديثة صدرت عن دار الدراويش للنشر والترجمة في المانيا وبلغاريا (طفل الميزان، الشجرة الأم، الكبش اليماني الفحل، إيريس وكتاب ياوي. النادلات. مارجريت وعبدو ثلاث روايات قصيرة جدً، آلمرضة دي، و الجني وردان).

كما نشط عقبي في النشر خلال عام 2023 و2024 بإصدار 25 كتابًا بمجالات متعددة (الشعر، القصة القصيرة، النص المسرحي، السيناريو). وكتب باللغة الفرنسية وصدر له ديوان مترجمًا إلى الألمانية ونص مسرحي مترجمًا إلى الإيطالية وثلاثة كتب باللغة الفرنسية.

لعقبي 29 كتابًا سابقًا في مجال القصة القصيرة والنص المسرحي والنقد السينمائي نشرها في الفترة بين 2012 و2016 وهي متوفرة إلكترونيًا.

أسس عقبي ويدير المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح منذ نهاية 2018 ولا يزال هذا المنتدى ينشط بندوات وملتقيات نقدية إفتراضية إلى الآن.

دخل عقبي مغامرة الفن التشكيلي منذ 2020 وأقام عشرة معارض فنية في فرنسا، كما أخرج وأنتج عشرة أفلام سينمائية قصيرة منها ثلاثية تحت مسمى "سينمائية القصيدة الشعرية".

www. youtube. com/@aefctarabeuropean-hamidoqabi

الفهرس

الإهداء 3

كلمة شكروتقدير 4

مقدمة..... 5

الفصل الأول..... 11

الفصل الثاني..... 17

الفصل الثالث 25

الفصل الرابع..... 34

الفصل الخامس..... 42

الفصل السادس..... 42